العدد الثالث والعشرون
2006

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1374 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2006 مسيحي

د. عبد السلام عبد الله الجقندي
كلية الدعوة الإسلامية

مقدمة:

ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي في مدينة (طوس) من أعمال خراسان ببلاد فارس سنة 450 هجرية ـ 1058م، وتوفي في الطابران سنة 505 هجرية، ويرجع أن سبب تسميته بالغزالي إلى مهنة والده وهي غزل الصوف[1] وهناك من يقول إنها نسبة إلى غزالة وهي بلد ينسب إليها[2].

وقد تعلم الغزالي في نيسابور ـ على يد الإمام أبي المعالي الجويني

(1) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الأول ـ دار قتيبة للطباعة والنشر، الطبعة المحققة الأولى، بيروت 1992م ـ ص(د. هـ. و. ز).

(2) محمد منير مرسي (التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية (الطبعة الثانية ـ عالم الكتب ـ القاهرة 1993ف ص(236).

الملقب بإمام الحرمين وإمام الشافعية وأخذ عنه المذاهب وطرق الجدل، كما درس علم الكلام والحكمة والفلسفة وقرأ الفارابي وابن سينا وغيرهما من العلماء المشاهير، وهنا ظهر نبوغه وعبقريته حيث صنف كتابه ـ المنخول ـ الذي عرضه على الجويني فعلق عليه قائلاً: (دفنتني وأنا حي هل صبرت حتى أموت؟) وفي هذه إشارة إلى أن الغزالي قد فاق أستاذه الجويني[3].

وقد عمل الغزالي بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد في عهد الوزير السلجوقي نظام الملك عندما رحل إليها سنة 484 هجرية، وكان عمره آنذاك (34) سنة واستمر في التدريس بها طيلة أربع سنوات زهد بعدها في الدنيا وآثر العزلة ورحل إلى البلد الحرام لأداء الحج، وذهب بعدها إلى دمشق حيث اعتكف للزهد والتصوف فترة من حياته، وأقام فترة في الإسكندرية لكنه عاد أخيراً إلى مسقط رأسه ـ طوس ـ ليقضي بقية عمره في وعظ الصوفية، وقد ترك الغزالي ما يزيد على سبعين مؤلفاً في الدين والفلسفة والجدل والفقه والأخلاق والتصوف والدفاع عن الدين والردّ على الفلاسفة ومن أهم كتبه «إحياء علوم الدين»، الذي عرض فيه آراءه في التربية والتعليم[4] وسأتناول في هذا المقال إلقاء الضوء على بعض من جوانب الفكر التربوية عند الغزالي من خلال دراسة النقاط الآتية:

1 ـ آراؤه في التربية والتعليم.

2 ـ المنهج التعليمي وتصنيف العلوم.

3 ـ منهجه في تربية الأطفال.

4 ـ المعلم ووظائفه التربوية.

أولاً ـ آراؤه في التربية والتعليم:

يرى الغزلي أن الغرض الأسمى من التربية هو التقرب إلى الله عز وجل،

(3) ماجد عرسان الكيلاني (تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية) 1978 ـ ص152.

(4) الغزالي (أحياء علوم الدين ـ الجزء الأول) مرجع سابق ص(6 ـ 7).

دون الرياسة والمباهاة، وحث عل طلب العلم لذات العلم باعتباره وسيلة للمعرفة التي تهدف إلى تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة بالعلم والعمل معاً[5] وذكر بأن التربية الإسلامية تجمع بين الدين والدنيا واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾[6] فالتربية الإسلامية في نظره هي العمل على إخراج الأخلاق السيئة من النفوس والسلوك وغرس الأخلاق الحسنة فيهما، وأن معنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه[7] وأكد على فضيلة التعليم والتعلم وطلب العلم وأتى بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف نذكر منها قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾[8] فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم،وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاء ونبلاً، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[9].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾[10] وقال جل شأنه: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾[11] وقال العزيز الحكيم ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[12] وقوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾[13].

ومن الشواهد التي وردت في السنة النبوية المطهرة قوله ﷺ:

---

(5) الغزالي، (أحياء علوم الدين) طبعة دارة الشعب، الجزء الأول ـ ص(50) وما بعدها.

(6) سورة القصص، الآية: 77.

(7) عبد الغني عبود (الفكر التربوية عند الغزالي) كما يبدو من رسالته أيها الولد، ط/1 دار الفكر العربي، 1982م ـ ص(175).

(8) سورة آل عمران، الآية: 18.

(9) سورة المجادلة، الآية: 11.

(10) سورة الزمر، الآية: 9.

(11) سورة العنكبوت، الآية: 49.

(12) سورة الأنبياء، الآية: 7.

(13) سورة التوبة، الآية: 122.

«**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده**»[14] وقال ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[15] ومن الآثار في فضيلة العلم، قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل: (يا كميل العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق) وقال علي رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة[16] لا يسدها إلا خلف منه[17].

وقال رضي الله عنه نظماً[18]:

ما الفخرُ إلا لأهل العِلْم إنهمُ ... على الهدى لمن استهدى أدلاَّءُ
وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كانَ يحسِنُهُ ... والجاهلونَ لأهْلِ العلم أعداءُ
ففز بعلم تعش حيَّاً بِهِ أبداً ... الناس موتى، وأهلَ العلمِ أحياءُ

فالإنسان إنسان بعلمه لا بقوة شخصه، فإن الجمل أقوى منه، لا بعظمه، فإن الفيل أعظم منه، ولا بشجاعته؛ فإن الأسد أشجع منه ولم يخلقِ الإنسان إلا للعلم، وإن غذاء القلب العلم والحكمة، وبهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام. ومن فقد العلم فقلبه مريض، وموته لازم، لكنه لا يشعر به، إذ حب الدينا وشغله بها أبطل إحساسه.

وقال ﷺ: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة**»[19].

---

(14) متفق عليه من حديث معاوية دون قوله: (ويلهمه وشده) وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير ابن ماجه (ج1) ص ـ 280 ـ 220.

(15) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حيان في صحيحه من حديث أبي الدرداء ابن ماجه (ج1) ص(2,281).

(16) الثلمه: الخلل في الشيء، ثلمة يثلمه: كسره من شفتيه.

(17) الغزالي: أحياء علوم الدين، الجزء الأول ـ طبعة دار قتيبة، مرجع سابق ـ ص (15).

(18) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(19) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة الترمذي ج10 ـ ص(154).

ومن فضيلة التعليم قوله تعالى : ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[20] والمقصود هو التعليم والإرشاد. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[21].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[22] وقوله عز وجل ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[23] وقال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به**»[24] **وقد جعل العلم طريقاً للإيمان؛ ففي كلامه عن الإيمان ذكر ثلاث درجات وهي**[25]:

أ ـ إيمان العامة الذين يصدقون ما يسمعون مثل قيل لهم فلان بالدار فصدقوا.

ب ـ إيمان العلماء وهو مبني على الاستنباط ومثاله أنهم سمعوا فلاناً بالدار فصدقوا.

ج ـ يقين العارفين الذين يشهدون الحق دون حجاب ومثاله هم الذين دخلوا الدار ورأوا بأعينهم وهم الأنبياء والرسل ومن في مرتبتهم.

وتحدث الغزالي عن مهنة التعليم وقال إنها: أشرف مهنة وأفضل صناعة تليق بالإنسان وهي من أسمى الأدوار التي يقوم بها في حياته، والتعليم عند الغزالي هو إفادة العلم، وتهذيب النفوس عن الأخلاقِ المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المؤدية إلى السعادة[26].

---

(20) سورة التوبة، الآية: 122.

(21) سورة فصلت، الآية: 33.

(22) سورة النحل، الآية: 125.

(23) سورة البقرة، الآية: 129.

(24) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ج3 ـ ص(1255) حديث 11.

(25) فتحية حسن (المذهب التربوي عند الغزالي) ط/ 1، مكتبة نهضة مصر القاهرة، 1966م ـ ص(29 ـ 32).

(26) الغزالي (أحياء علوم الدين) طبعة دار الشعب ـ مرجع سابق ـ ص11.

ثانياً ـ تصنيف العلوم والمنهج التعليمي:

قسم الغزالي العلوم إلى أربعة أنواع وهي: الأصول تشمل القرآن الكريم والحديث الشريف، والفروع وتشمل الفقه، والمقدمات وتشمل ما لا غنى عنه في دراسة الأصول مثل النحو واللغة، والمتممات وتشمل القراءات والتفسير، ومن حيث أهمية العلوم المختلفة وارتباطها بأغراض التربية والتعليم قسمها إلى نوعين:

1 ـ ما هو فرض على كل فرد وهي العلوم الدينية لأنها الأساس إلى معرفة الله وهو فرض على كل إنسان.

2 ـ ما هو فرض كفاية وهي التي ليست مفروضة على كل إنسان مثل علوم الحساب والطب والصناعات[27].

أما من حيث قيمة العلوم فقد قسمها إلى:

1 ـ علوم مذموم قليلها وكثيرها مثل علوم السحر والطالع والتنجيم لأنه لا يرجى نفع منها في الدنيا ولا في الآخرة.

2 ـ علوم محمود قليلها وكثيرها، هي العلوم الدينية لأنها تطهر النفس وتقرب الإنسان من ربه.

3 ـ علوم قليلها محمود وكثيرها مذموم لأنها تشكك الإنسان مثل علم الفلسفة الذي قد يؤدي بالإنسان إلى الإلحاد[28].

وقد وضع الغزالي عدة معايير تقدر على أساسها معرفة العلوم ومدى أهميتها للإنسان وهي[29]:

1 ـ مدى منفعةِ هذه العلوم للإنسان في حياته الدينية وتقربه من الله.

2 ـ مدى منفعةِ هذه العلوم للإنسان من حيث خدمتها لعلوم الدين وهي علوم النحو واللغة.

---

(27) محمد منير مرسي (التربية الإسلامية) مرجع سابق ـ (239).

(28) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الأول ـ دار قتيبة، مرجع سابق ص8 وما بعدها.

(29) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الأول، طبعة دارة قتيبة مرجع سابق ـ ص(24).

3 ـ مدى منفعةِ هذه العلوم للإنسان في حياته الدنيا مثل علم الطب والحساب والطبيعة.

4 ـ مدى مساهمة هذه العلوم في تثقيف الإنسان واستمتاعه وتدخلها في حياته الاجتماعية مثل الشعر والتاريخ والسياسة، وهكذا يقسم الغزالي المنهج إلى:

1 ـ العلوم النقلية: وهي العلوم المنقولة من السلف وهي علوم القرآن والحديث النبوي الشريف.

2 ـ العلوم اللسانية: وهي العلوم التي تخدم أمور الدين.

3 ـ العلوم العقلية: وهي الفلسفة والرياضيات والعلوم المنطقية والطبيعيات والسياسيات والخلقيات.

ثالثاً ـ منهج الغزالي في تربية الأطفال:

وضع الإمام الغزالي منهجاً لتربية الاطفال وتحسين أخلاقهم، وقد ضمنه كثيراً من آرائه حول تربية الأطفال في رسالة عنوانها ـ أيها الولد ـ[30] وقد حظيت هذه الرسالة بدراسة حديثة قام بها الدكتور: عبد الغني عبود تناول فيها مقدمة عن الفكر التربوي عند الغزالي بصفة عامة، ثم تولى تحقيق نص الرسالة والتعليق عليها على نحو يتسم بالأصالة والعمق، فضلاً عن الإحاطة والشمول. . . . ولم يتناول في هذه الرسالة منهج تربية الأطفال بالكامل، في حين أنه تحدث في الجزء الثالث من كتابه إحياء علوم الدين، عن بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم وتحسين أخلاقهم[31].

يقول الغزالي في معرض حديثه عن تربية الأطفال (اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر

---

(30) عبد الغني (الفكر التربوي عند الغزالي) كما يبدو من رسالته (أيها الولد) الطبعة الأولى، دار الفكر العربي 1982م.

(31) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الثالث ـ طبعة دار قتيبة 1992م ـ ص (110) وما بعدها.

جوهرة نفيسةٌ ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى ما يمال إليه، فإن عُوِّدَ الخير وعُلِّمَهُ نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّدَ الشر، وأُهْمِلَ إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبةِ القيم عليه والوالي له)[32] ويوصي الغزالي الأب بأن يصون ابنه، التزاماً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[33] وصيانة الأب لابنه تكون بتأديبه وتدريبه وتعليمه محاسن الأخلاق وحفظه من قرناء السوء، ولا يعودَهُ التنعُّمَ، ولا يحبِّبَ إليه الزينة، وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، وتؤدي به إلى الهلاك، وعليه مراقبته من البداية، وأن تتولى حضانته وإرضاعه امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال[34] ويؤمن الغزالي إيماناً قوياً بأثر البيئة على تربية الطفل، وقال إن الطفل يمكن أن ينحرف إذا صاحب رفقاء السوء، كما يمكن أن يكون صالحاً إذا رافق قرناء الخير؛ فإذا كانت البيئة الأسرية وبيئة الرفاق والبيئة المدرسية صالحةً أدى ذلك إلى حسن تربية الطفل وصلاح أمره[35].

وهكذا يبرز الغزالي أهمية الأوساط التربوية ومن بينها الأسرة في تربية الأطفال إما نحو الخير أو نحو الشر، الفضيلة أو الرذيلة، الحق أو الباطل، الجمال أم القبح، العدل أم الظلم، وهو بذلك يرى أن تربية الطفل وتعليمه ترتكز على ضبط سلوكه بالثواب والعقاب وكفه عن الأعمال التي لا يقبلها المجتمع، وتشجيعه على ما يرضاه منها حتى يكون متوافقاً مع نفسه ومع من حوله وما حوله.

ولكي نربي الطفل تربية صالحة يوصي الغزالي بتوفير الرعاية للطفل في أبعاد نموه المختلفة الاجتماعية، والثقافية والانفعالية، والجسمية لنُكَوِّنَ منه

---

(32) نفس المرجع السابق (110).

(33) سورة التحريم، الآية: 6.

(34) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الثالث، طبعة دار قتيبة ـ مرجع سابق ص(110).

(35) سليمان أحمد عبيدات (الطفولة في الإسلام) الطبعة الأولى ـ جمعية المطابع الخيرية عمان الأردن، 1989م ـ ص(153).

رجلاً سوياً متكامل الشخصية، وهذا الرأي يتفق كثيراً مع ما نادت به التربية الحديثة، وقد أكد الغزالي في كلامه عن تربية الأطفال على عدة جوانب من أبرزها:

1 ـ التربية الجسمية:

أشار الغزالي إلى أهمية التربية الجسمية للطفل، ومراعاة سلامته الصحية، وتعويده عدم النوم بالنهار فإنه يورث الكسل، والسماح به بإشباع حاجاته من النوم ليلاً، وتحبيبه ممارسة الرياضة، وتشجيعه على المشي والحركة حتى لا يغلب عليه الكسل، وفي بيان أهمية اللعب للطفل قال: فينبغي إذا رجع أن يؤذن للصبي من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه مِنْ تَعَبَ العلم بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه في التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه[36].

فالطفل يستفيد وينمو باللعب وهو الوسيلة الطبيعية التي تنمي قوى الفرد الجسمية والعقلية، وإن اللعب المملوء بالحركة والنشاط دليل على صحة العقل وسلامة الجسم، أما الكسل أو الخمول فناشئ عن اعتلال صحة الطفل الجسمية والعقلية[37]، وقد ثبت في علم النفس أن هناك صلة بين الجسم والعقل، فما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل، وما يؤثر في العقل يؤثر في الجسم[38].

وبذلك نرى أن الغزالي قد سبق علماء النفس وفلاسفة التربية الحديثة في القرن العشرين بتأكيده على إشباع حاجة الطفل من اللعب والآثار المترتبة على منعه من اللعب[39] والهدف من إشباع حاجة الطفل إلى اللعب وتوفير الألعاب المناسبة له، حتى يعتاد الخشونة، وتتصلب أعضاؤه، ولا يزيد وزنه، وبذلك

---

(36) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الثالث، طبعة دار قتيبة ـ ص(112).

(37) سعد جلال (المرجع في علم النفس) دار المعارف بمصر 1971م ـ ص(196 ـ 197).

(38) أحمد عزت راجح (أصول علم النفس) الطبعة التاسعة. د.ت الإسكندرية ـ ص(24 ـ 25).

(39) محمد عطية الابراشي (التربية الإسلامية وفلاسفتها) الطبعة الثانية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1969م ـ ص(268).

يستطيع تحمل متاعب الحياة، وتدبير شؤون نفسه وعدم الاعتماد على غيره[40].

لذا يجب علينا ـ أباء ومربين ـ الاهتمام بصحة الطفل وتعويده على ممارسة الرياضة البدنية وتوفير الألعاب المناسبة له.

2 ـ تربية الطفل وتعليمه:

أكد الغزالي على أهمية تربية الطفل والعناية به من الصغر في أول حياته، وقديماً قالوا التعليم في الصغر كالنقش في الحجر. كما أكد ضرورة أن يفهم المعلم طبيعة الأطفال الذين يعلمهم مما يساعد على توثيق الصلة بينه وبينهم. ومن واجب المدرسة العمل على تربية الطفل تربية تتصف بالشمول والتكامل في أبعادها الروحية والخلقية والدينية والعقلية والجسمية والاجتماعية، ويؤكد الغزالي أن التربية والتعليم عملية تتعاون فيها طبيعة الصبي مع بيئته[41] وفي إشارة للفروقِ الفردية بين الأطفال في التكوين الجسمي والعقلي، طلب الغزالي من معلم الصبيان دراسة نفسيتهم والفروق الفردية بينهم، وهذا ما أثبته علم النفس من أن كل طفل له ميوله ورغباته وحاجاته ومراحل نموه التي تتميز بخصائص تختلف من طفل إلى آخر، وبمشكلات تختلف من طفل إلى آخر أيضاً، ولذلك يجب على المعلم مراعاة هذه المبادئ التربوية حتى ينجح في تربية الطفل وتعليمه[42] وفي مجال طرق التدريس أشار الغزالي إلى الربط بين الطفل وبيئته، وإلى مبدأ التدرج في تعليم الطفل والبدء بالأشياء السهلة ثم الانتقال إلى ما هو أصعب، وفي ذلك يقول: (إن أول واجبات المعلم أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباكه العقلي وتنفره من العلم، ولا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فإن العلوم مرتبةٌ ترتيباً ضرورياً، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعىٰ لك الترتيب والتدرج)[43] ومعنى

---

(40) نفس المرجع السابق ـ ص275.

(41) نفس المرجع السابق ـ (261).

(42) عبد العلي الجسماتي (سيكولوجية الطفولة والمراهقة) الطبعة الأولى ـ الدار العربية للعلوم، بيروت 1994م ـ ص(53).

(43) الغزالي (أحياء علقم الدين) طبعة دار قتيبة الجزء الأول مرج سابق ـ ص(78).

هذا أن يعمل المعلم على ربط مادة الدرس بحياة التلاميذ اليومية وخبرتهم السابقة لكي يشعروا بحاجتهم إليها وتكون نقطة البداية في تعليمهم بما هو معلوم لديهم. وهكذا يبدأ من المعلوم إلى المجهول ومن السهل إلى الصعب، كما يعمل على تنظيم المادة الدراسية تنظيماً منطقياً ونفسياً حتى يقبل عليها التلاميذ ولا يملوها[44]. وبذلك نخلص إلى القول بضرورة أن تكون طرق التدريس ملائمة لخصائص الطفل الجسمية والعقلية بالإضافة إلى معرفة ميوله ونزعاته الفردية واستعداداته وغرائِزِهِ المختلفة.

الشروط الواجبة على المتعلم في أخذ العلم[45]:

حدد الغزالي شروطاً ينبغي على المعلم الأخذ بها من أهمها:

1 ـ أن يكون المتعلم طاهر النفس وأخلاقه عالية وبعيداً عن الرذائل، غير متكبر ولا متعجرف يحترم معلمه، لأنه لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف.

2 ـ أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا، ويبعد عن الأهل والوطن في سبيل طلب العلم، وأن يكون هدف المتعلم من العلم هوالتقرب إلى الله تعالى لأن السعادة الحقيقية هي السعادة الأخروية.

3 ـ ألا يتكبر على العلم ولا يتآمر على المعلم بل يجب طاعته والتواضع له والإذعان لنصحيته مثل إذعان المريض الجاهل للطبيب الحاذق ولا يستنكف عن الاستفادة من المرموقين المشهورين من العلماء؛ فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها.

4 ـ أن يبتعد في أول دراساته عن الخلافات بين المذاهب في المسائل العلمية، فلا يخوض في تشعبات العلم، وتعقيداته، لأن مثل هذه الأمور

---

(44) محمد حسين آل ياسين (المبادئ الأساسية في طرق التدريس العامة) دار المعارف بمصر د.ت ـ ص(17).

(45) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الأول ـ طبعة دار قتيبة، مرجع سابق ـ ص (72 ـ 82).

تجعله غير قادر على النقاش ومحاورة العلماء ممن تعمقوا في هذا العلم ويكون رأيه ضعيفاً في النقاش، فلا يجوز له أن يدخل في نقاش متعمق مع متخصصين في ميادين العلوم ما لم يكن متمكناً من ذلك. وهذا الرأي يتفق مع التربية الحديثة التي تدعو إلى تعليم التلميذ بالانتقال من السهل إلى الصعب ومن القريب إلى البعيد ومن المحسوس إلى المجرد.

5 ـ أَلا يدع طالب العلم فناً من فنون العلم المحمودة، ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغاياته... فالعلوم مرتبطه مع بعضها ارتباطاً وثيقاً وهذا يتفق مع مفهوم المناهج التربوية الحديثة التي اهتمت بالنمو المتكامل لشخصية التلميذ في النواحي العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية والخلقية، كما اهتمت باشتراك التلاميذ في أنواع متعددة من النشاط الهادف الذي يساعدهم على تحقيق هذا النمو وفقاً لما تسمح به قدراتهم واستعداداتهم المختلفة(46).

6 ـ ألا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب، ويبدأ بالأهم، لأن العمر لا يتسع لجميع العلوم غالباً، والحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه، ولا ينتقل من علم إلى آخر قبل أن يتقن العلم الذي قبله، لأن العلوم مرتبطة مع بعضها البعض فعدم إتقان علم ما، من شأنه أَلا يجعل الطالب قادراً على اتقان علم آخر بعده، وهذا يتفق مع النظرية التربوية الحديثة التي ترى أن عملية التعلم مقيدة بقواعد معينة موضوعية ومحدودة، وعلى المتعلم أن يسلك الطريق التي تحددها وتعينه هذه القواعد لكي يكون تعلمه متقناً وهو ما نسميه بالطريقة المنطقية(47).

7 ـ أن يعرف السبب الذي به يدرك الشرف في العلوم، فإن ثمرة علم الطب الحياة الدنيوية، وثمرة عِلْمِ الدين الحياة الأخروية وبذلك يكون علم

---

(46) أحمد خيري كاظم (دور المكتبة في خدمة المنهج) المكتبة المدرسية الحديثة، الجزء الثاني، القاهرة: وزارة التربية والتعليم 1962م ـ ص16.

(47) محمد حسن آل ياسين المبادئ الأساسية في طرق التدريس العامة، دار المعارف بمصر د.ت. ـ ص(42).

الدين أشرف من علم الطب، لأن الدين يوصل إلى السعادة الأخروية وليست سعادة الدنيا، ولا عجب في ذلك فإن الغزالي قد تأثر كثيراً بالمتصوفة، وإن كان قد خالفهم في كثير من الأمور.

8 ـ أن يكون قصد المتعلم في الحال المعرفة والفضيلة، وفي المآل السعادة، ولا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم التي هي فرض كفاية[48].

8 ـ أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد، كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد، والمهم على غيره، معنى المهم الشيء الذي يهم الإنسان، وما يهمه إلا شأنه في الدنيا والآخرة... فالأهم ما يبقى دائماً، وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً، والبدن مركباً والأعمال سعياً إلى المقصد، ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى، ففيه النعيم كله، وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا القليل من الناس.

وظائف المعلم كما يراها الغزالي:

إن المعلم عند الغزالي من أهم العوامل في تحقيق تربية سليمة للنشء، لما له من عظيم الأثر في نفسية التلميذ، ومدى تحصيله، وبناء شخصية وسلامة مسلكه، وأكد على أهمية أن يكون المعلم قدوة صالحة لتلاميذه. وانطلاقاً من أهمية دور المعلم في نظر الغزالي فقد وضع إطاراً لما ينبغي أن تكون عليه شخصية المعلم ووظائفه التربوية ليمارس مهامه القيّمة[49]، ويوضح الغزالي طرق الاستفادة من المعلم فيقول: «اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال

(48) يرى الغزالي أن العلم نوعان: علم هو فرض عين على كل مسم ـ اعتقاد بالله وفعل بما أمر الله، وترك ما نهى عنه ـ وعلم هو فرض كفاية: وهو كل علم لا يستغنى عنه هو قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجرة بقاء الأبدان والحساب فأنه ضروري للمعاملات، وقسمة الوصايا والمواريت.

(49) عارف مقضى البرجس، (التوجيه الإسلامي للنشء) الطبعة الثانية ـ دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت 1983م، ص(101).

كحاله في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حالُ استفادةٍ فيكون مكتسباً، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون بِهِ غنياً عن السؤال، وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعاً، وحال بدل لغيره فيكون به سخياً متفضلاً وهو أشرف أحواله؛ فذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب، وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات فأنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهوطيب. والذي يعلم ولا يعمل بعلمه كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال من العلم. وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع، والإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية، وذبالة المصباح التي تضيء لغيرها وهي تحترق[50].

وقد أشار الغزالي إلى جملة من الوظائف والآداب دعا المعلمين إلى الالتزام بها وهي[51].

الوظيفه الأولى:

الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه، قال ﷺ «**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**»[52] وهذا ما ندعو إليه في التربية الحديثة اليوم، فواجب المربي أن ينظر إلى تلاميذه نظرته إلى أبنائه، ويفكر فيهم وفي وقتهم ومستقبلهم مثلما يفكر في أولاده، ويعملَ على إفادتهم والنهوض بهم،ويعاملهم معاملة كلها عطف ورأفة، وأن يكون المعلم قدوةً طيبة في أقواله وأفعاله أمام تلاميذه.

الوظيفة الثانية:

الاقتداء برسول الله ﷺ فلا يطلب على إفادة العلم أجراً، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً، بل يعلم لوجه الله تعالى، وطلباً للتقرب إليه، ولا يرى لنفسه

(50) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الأول، طبعة دار قتيبة ـ ص(82)

(51) الغزالي (أحياء علوم الدين) الجزء الأول، طبعة دار قتيبة، ص(82 ـ 86).

(52) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حيان من حديث أبو هريرة سنن ابن ماجه ج(1)، ص(114) حديث رقم (313).

منّة عليهم وإن كانت لازمة عليهم، بل يرى الفضل لهم إذا هذبوا قلوبهم، وقد وجه نقدٌ إلى هذا الرأي من جانب علماء التربية الإسلامية بحجة أنه لا يتفق مع الواقع ومن أمثال هؤلاء ابن سحنون والقابسي والأدلة التاريخية تدحض هذا الرأي للغزالي وتفيد بأن المعلمين كانوا يحصلون على أجر بالفعل نظير قيامهم بتعليم الصبيان، ومن الملاحظ أن الغزالي قد تأثر في رأيه هذا بما قاله أفلاطون[53] ومهما يكن فإن الغزالي ينصح بالتعفف في أخذ أجر على التعليم اقتداء بصاحب الرسالةِ عليه الصلاة والسلام،وقد خالفه القابسي تمشياً مع روح العصر، ونادى بأن يأخذ المعلم أجراً لانقطاعه إلى مهنته، بل ذهب إلى أبعد من هذا فأجاز أن يقبل المعلم الهدايا في المواسم والأعياد[54] ولما كانت الفكرة نفسها سائدة في المجتمع الإسلامي على وجه العموم، ولما كان الغزالي يدين بوجوب التعليم وفرضه على كل عالم، فقد رأى أن لا يطلب المعلم أجراً على القيام بمهنة التعليم، وألا ينتظر المعلم حمداً أو شكراً أو جزاء من تلاميذه، وذلك لأنه يؤدي فرضاً عليه، كما أنه يجب أن يتشبه برسول الله ﷺ، ويقوم بتعليم العلم لوجه الله تعالى وبهذا يتقرب المعلم من ربه ويعظم ثوابه[55].

الوظيفة الثالثة:

يجب على المعلم المربي تقديم النصيحة للمتعلم، وتقويم عمله تقويماً تربوياً سليماً بحيث لا ينقل من صف إلى صف قبل الاستيعاب واستحقاق النجاح وألا يشغل المتعلم بعلم مجهول بل عليه أن يتدرج به من الجلي الواضح إلى ما بعده من العلوم.

ولا بد أن يكون واضحاً في عقل التلميذ أن الغرض من العلم التقرب إلى

---

(53) محمد منير مرسي (التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية) مرجع سابق ـ ص(246).

(54) دراسات مقارنة في التربية الإسلامية، علي الجمبلاطي، أبو الفتوح التواني مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1973م، ـ ص(87).

(55) فتحية سليمان (المدهب التربوي عند الغزالي) الطبعة الثانية، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة 1964م، ص (33 ـ 34).

الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة الممقوتة، وهذا ما أكدت عليه التربية الحديثة في مناهج التعليم وطرقه ووسائله عندما دعت المعلم إلى الاستفادة من تطور العلوم في هذا المجال.

الوظيفة الرابعة:

وهي من أهم وظائف التعليم، وبمقتضى هذه الوظيفة ينبغي للمعلم أن يستخدم أسلوب التعريض ما أمكن عند زجر المتعلم عن سوء الأخلاق ولا يهدم المتعلم بما فعل، وأن يستعمل أسلوب الرحمة لا أسلوب التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم ويولد العناد عند الطفل ولأن التعريض فيه أسلوب إشارة غير مباشرة تؤثر في النفوس الفاضلة والأذهان الذكية فيتعدل سلوكها وتستقيم أمورها، ووجهة نظر الغزالي في تربية الأطفال وتهذيبهم تتفق مع رأي علماء التربية وعلم النفس وعلماء الأخلاق،الذي مفاده أن الإشارة في النصح خير من العبارة، والتلميح خير من التصريح، والنصيحة على انفراد مع الرحمة أكثر جدوى وأثراً في نفسية الطفل من التوبيخ صراحة أمام إخوانِهِ وزملائه فالطفل حينما يشعر بالقسوة وبالتوبيخ يتمرد ويعارض ما يقال له ويخالف ما يعرض عليه، ولا يبالي بما ينصحه لأن الإنسان مولع بحب الأشياء التي يمنع من فعلها[56].

الوظيفة الخامسة:

يرى الغزالي أنه من واجب المعلم ترك تقبيح بعض العلوم في نفس المتعلم وتفضيل بعضها على بعض حيث يشيد المعلم بالعلم الذي يدرسه ويقبح العلوم التي يقوم بتدريسها الآخرون فهذه مذمومة للمعلمين ينبغي أن تُجتنَبَ بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعليم في غيره، وإن كان متكفلاً بعلوم فينبغي أن يراعى التدرج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة. وفي رأينا أن الغزالي محق في نقده، سديد في رأيه فمن الأخلاق المذمومة أن

(56) محمد عطية الأبراشي (التربية الإسلامية وفلاسفتها) مرجع سابق ص(256).

يتعصب المدرس لمادته، فيستحسنها ويستقبح غيرها من المواد الأخرى بل عليه أن يترفع عن مثل هذا السلوك[57].

الوظيفة السادسة:

أن يقتصر بالمتعلم على قدرِهِ وفهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره أو يخبط عليه عقله، اقتداء في ذلك بالرسول ﷺ حيثُ قال: «**نحن معاشر الأنبيار أُمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم**»[58].

وإدراكاً من الغزالي للفروق الفردية بين المتعلمين فيما يتعلق بتفاوتهم في الذكاء، وقدرتهم على استيعاب العلوم، ووفقاً للترتيب المنهجي للتعليم، فإنه ينبه المعلم إلى وجوب معرفة قدرات المتعلم وإمكانياته العقلية، بحيث يقتصر فيما يلقى إليه من العلوم على قدر فهمه، واستعداداته العقلية، وعدم مراعاةِ هذا المبدأ ينفره ويربك عقله[59] وهذا يتفق مع الآراء التربوية الحديثة[60]. (إذ أن عدم التناسب من شأنه أن ينفر المتعلم من الدراسة، ويربك عقله فيصاب بالإخفاق الذي قد يتسبب في هروبه من الدرس أو في دوام رسوبه وإخفاقه، هذا إلى جانب رأيه السليم الآخر الذي ينصح بعدم إعطاء العلم جزافاً لغير أهله، ذلك الأمر الذي يتسبب منه أضراراً كبيرة، كأنْ يصاب المتعلم بالزهو والغرور وخصوصاً إذا كان من غير الأكفاء)[61].

فواجبنا نحن المربين أن نخاطب الأطفال باللغة التي يفهمونها، والعبارة التي يدركونها، ونخاطب الكبار بلغة تختلف في أسلوبها عن لغة المتبدئين فما يصلح للكبير لا يصلح للصغير وما يناسب الطفل لا يناسب الرجل.

---

(57) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(58) من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر اخصر منه، وعند أبي داود من حديث عائشة: (انزلوا الناس منازلهم).

(59) عارف مقضى البرجس، التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي مرجع سابق ـ ص(106 ـ 107).

(60) سعد جلال (المرجع في علم النفس) مرجع سابق ـ ص(407).

(61) فتحية سليمان (المذهب التربوي عند الغزالي) مرجع سابق ص(36 ـ 379).

الوظيفة السابعة:

أن يقوم المعلم بدوره التربوي في علاج المتعلم القاصر بحيث يعلمه ويبدأ له بالمعلومات والخبرات الواضحة الجلية والتي تتفق مع قدراته واستعدادته، ولا يربكه بالمعلومات الصعبة التي تحدث له تشويشاً يؤدي إلى فتور وضعف في تحصيله العلم الواضح الجلي، ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل عنه، (إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق، فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه وتعالى في كمال عقله، وأشدهم حماقة، وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله)[62] ولذلك تعلق الدكتورة فتحية سليمان على هذا الموضوع بقولها: (ولا عجب أن يفكر الغزالي في بناء التعليم على أساس نفسي، فهو الذي اهتم بكنه العقل البشري في طريقَةِ عملِهِ)[63].

الوظيفة الثامنة:

أن يكون المعلم عاملاً بعلمه وأن يطابق قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، فلا يجوز له أن ينصح طلابه عن ارتكاب منكر، وهو يمارسه، ولا يجوز له أن ينهاهم عن عمل ثم يفعله، فالطلاب سيكتشفون ذلك وسوف لا يتقون في المعلم. ولذلك قيل في هذا المعنى:

لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله عارٌ عليك ـ إذا فعلت ـ عظيمُ

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[64].

الوظيفة التاسعة:

أن يكون وقوراً رزيناً لا ثرثاراً أهوج ولا يظهر أمام تلاميذه بمظهر الخامل الكسول، وهذه الوظيفة تتطلب من المعلم الاهتمام بمظهره ولباسه ونظافته أمام

(62) الغزالي (أحياء علوم الدين) طبعة دار قتيبة، الجزء الاول ـ ص86.

(63) فتحية سليمان (المذهب التربوي عند الغزالي) مرجع سابق، ص(37).

(64) سورة البقرة، الآية: (44).

تلاميذه، وأن يتصف بالاحترام في علاقته مع تلاميذه وفي علاقته مع المجتمع الذي يعيش فيه.

الوظيفة العاشرة:

يجب ألا يرفع المعلم التكليف بينه وبين التلميذ حتى لا يتجرأ وحتى لا يفسد خلقه، وأن يبتعد به عن التدليل ويعوده الخشونة ليجنبه الكسل والتواكل وأن يراعى التوسط والاعتدال في معاملته، وقد سبق الغزالي بأفكاره التربوية هذه ما جاءت به التربية الحديثة.

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أهمية المعلم في نظر الغزالي، والصفات التي يجب أن تتوفر في شخصيته، والمسؤوليات الدينية والإنسانية والوظيفية الملقاة على عاتقه، ولا شك أن الالتزام بهذا الدور يجعل من المعلم مربياً قادراً على تكوين علاقة جيدة بينه وبين تلاميذه كما يمكنه من تحقيق رسالته في المجتمع، وهذا إلى حد كبير مع ما تدعو إليه التربية الحديثة في بيان العلاقة بين المعلم والمتعلم.